القلعة من الداخل

جمال وروعة المكان

تعد إحدى اكبر القلاع في القرن الثاني عشر

«المرقب».. قلعة تحاكي التاريخ وتطل على أجمل معالم سورية

منظر لاحدى واجهات قلعة المرقب

قلعة المرقب

تقع قلعة المرقب على الساحل السوري بين مدينتي طرطوس وبانياس الساحليتين وعلى بعد 5 كلم من بانياس ، على قمة جبل بركاني صخري يشرف على شاطئ البحر، واشيدت على ارتفاع 362 م، عن سطح البحر، والجبل الذي تقوم عليه قلعة المرقب هو مثلث الشكل تقريباً طرفاه الشمالي والغربي شديدا الإنحدار ويفصله عن سلسلة جبال الساحلية واد عميق في جهته الشرقية، وفي الجهة الجنوبية الغربية تتوالى المرتفعات والمنخفضات إلى أن تزول تماما قرب شاطئ البحر ، وتعتبر الناحية الجنوبية للقلعة اضعف نقطة طبيعية دفاعية لها، لذا لجأ الصليبيون إلى بناء أكبر واضخم أبراج هذه القلعة من تلك الجهة لصد الهجمات.

و كانت احد اكبر القلاع في القرن الثاني عشر وكان القائد العربي الكبير صلاح الدين الايوبي يرى فيها قلعة منيعة يستحيل احتلالها بسبب ضخامتها وموقعها القوي حيث عزز الجزء العلوي المنبسط بسلسلة من الأسوار والابراج الضخمة المستديرة وسمحت القوة المادية للقلعة بالسيطرة على اراض شاسعة طوال قرن تقريبا.

عرفت قلعة المرقب باسماء عديدة خلال العصور التاريخية منها: باللغة اليونانية «ماركابوس» و«ماركابان»، ودعيت من قبل اللاتين أي الفرنج باسم «مارغت» و«مارغاتوم» و«مارغانت»، وأطلق عليها العرب اسم المرقب وقلعة المرقب.. وفي اللغة العربية كلمة مرقب تعني «الحارس أو المراقب» حيث أنه قد سميت بذلك الإسم لأنها كانت تشرف على البحر والتلال المجاورة ومن ارتفاع 362 م، وتقوم بدور الحارس او المراقب!

.جميع القلاع الصليبية بنيت على أطلال مستوطنات قديمة يتراوح تاريخها مابين القرن الأول والثاني الميلادي مروراً بالعهود اللاحقة، وقد تم ذكر القلعة في المصادر العربية عام 1047 ميلادي، وعن بانيها الأول حيث قامت على اثر بناء قديم في عهد هارون الرشيد، وفي عام 1062 ميلادي ذكرت المصادر التاريخية ان أول من بناها هو شيخ القبائل العربية الجبلية رشيد الدين بن سنان، ومهما يكن من أمر البناء فإن قلعة المرقب كانت قائمة عند دخول الصليبيين إلى البلاد، ويذكرها احد الكتاب اليونانيين بين عدد من المواقع الحصينة على الساحل التابعة للمسلمين والتي حاول البيزنطيون احتلالها عام 1104 ميلادي اثناء غزوهم الساحل مما يؤكد وجود القلعة السابق للإحتلال الصليبي.

تاريخ القلعة في العهدالصليبي

انطلقت الجيوش الصليبية الأربعة من أوروبا عام 1096م استجابة للنداء الذي أطلقه البابا اربان في مجمع كليدمونت، وقد تم للجيوش الصليبية احتلال عدد من المدن العربية الهامة منها مدينة القدس عام 1099 م بعد أن تمت سيطرتهم على مدن الساحل السوري، وبنى الصليبيون عدداً من القلاع والحصون وفق مخططات وأساليب معينة في المواقع الإستراتيجية الهامة أهمها قلعة الحصن.

في عام 1104 م شغلت القلعة لفترة قصيرة من قبل القوات البيزنطية التي يقودها «جون كانتا كوزينوس» اثناء الصراع الذي دار حول اللاذقية وبعد ذلك عادت إلى الإملاك العربية. لقد بقي الصليبيون في قلعة المرقب «168» عام أي 1117 1285- م، وكان أول من احتلها «روجر» امير انطاكية بعد ان تخلى عنها صاحب المرقب في محرز بعد مفاوضات طويلة مقابل ولاية اخرى ثم أهداها روجر بدوره إلى أسرة مانيسوير الإقطاعية التابعة لإمارة انطاكية. .. وقد اصابت الزلازل الشديدة قلعة المرقب عام 1170 م فتهدم بعض اقسامها وفي عام 1186 م سلمت القلعة إلى جماعة الإسبتارية ، ولقد اضافت جماعة الإسبتارية عدداً من الأبنية الدفاعية والمنشآت العسكرية الهامة للقلعة مما زاد في تحصينها، وقد انتقلت القلعة إلى حيازة الإسبتارية مقابل أجر سنوي يبلغ «2000» بيزنط ذهبي تدفع إلى آخر مالك لها هو برتراند المرقبي، وكان السبب الرئيسي الذي ادى إلى تنازل برتراند صاحب المرقب عن القلعة إلى الإسبتارية هو تفهر وضعف الأسر الإقطاعية في أوروبا بعد منتصف القرن الثاني عشر.

حاول الصليبيون منع الجيوش العربية من المرور إلى الشمال وبالرغم من ذلك استطاع السلطان صلاح الدين الأيوبي عام 1188 م من المرور أمام أسوار قلعة المرقب متوجها إلى جبلة بعد أن فتح مدينة طرطوس فقد أرسل غليوم الثاني ملك صقلية أميرال البحر «مارغاريت» حملة بحرية لمنع تقدم العرب باتجاه جبلة لكن صلاح الدين استطاع حماية جيشه ومتابعة مسيره.

سير الملك الظاهر غازي سلطان مدينة حلب عام 601 هجري «1204–1205» م، حملة إلى قلعة المرقب حيث دمر عددا من ابراجها الموجودة عند اسوارها الخارجية ثم انسحبت الحملة لمقتل قائد الحملة بعد أن فاريت من الإستيلاء على القلعة ، ثم لاقت القلعة صعوبات كثيرة في منتصف القرن الثالث عشر من جراء انتصارات السلطان الظاهر بيبرس ولم يحصل أصحاب قلعة المرقب بعد عام 1271م، على هدنة جديدة في القلعة حيث تم ذلك بعد سقوط قلعة الحصن المجاورة لها.

وفي عام 1279 م شن أصحاب القلعة من فرسان الإسبتارية هجوماً على المسلمين مستفيدين من الإضطرابات التي رافقت استلام السلطان قلاوون مقاليد الحكم، وفي بداية عام 1281 م حاصر قلعة المرقب الأمير "بلبان الطباخي" حاكم قلعة الحصن لبثار من أصحابها ولكن بدون جدوى وبقي الفرسان في مواقعهم منتظرين الفرصة للهجوم على المسلمين.

فتح العرب لقلعة المرقب

قام السلطان قلاوون بإعداد العدة لمعركة سيخوضها دون أن يعين الجهة التي سيتوجه لها، فجهز المجانيق والات الحديد والنفط والنشاب وتسرع بالمسير حتى ظهر أمام قلعة المرقب في «10صفر684هجري» 1285 م، ونصب المنجنيقات وسائر أدوات الحصار.. وبدأ القتال واشتد الحصار والنزال حتى بدت الثغرات في الأسوار وأيقن الفرنج أنهم قتلى دون شك فطلبوا الأمان بعد دفاع طال أكثر من 35 يوم، وقد أجاب السلطان قلاوون بالعفو والأمان رغبة منه في إبقاء الحصن كما وافق لأهل المرقب بالخروج من القلعة مع كل ما يستطيعون حمله مع 55 حصانا وبغلا محملين بما يرغبون وعلاوة على ذلك سمح لكل فارس بحمل 2000 قطعة ذهبية، وقد لجأوا إلى طرطوس ومنها إلى طرابلس، ودخل قلاوون القلعة في موكب مهيب في 25 أيارعام 1285 ميلادي

استخدم السلطان قلاوون قلعة المرقب بعد فتحها كمركز للحركات العسكرية ضد الصليبيين ووضع فيها حامية قوية وأصبحت مركزاً لولاية هامة ربطت بإمارة طرابلس. وبقيت قلعة المرقب من القلاع الرئيسية خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر حيث استخدمت معتقلاً للمحكوم عليهم والمعزولين من مناصبهم، ولم يحدث أي تبدلات في القلعة بعد ذلك.

الوصف المعماري

إن مسقط القلعة الضخم عبارة عن مثلث ضيق مساحته حوالي 60000 م2 تتجه زاويته الحادة نحو الجنوب، ويندمج حرفه مع الصخور المشكلة لجبل الأنصارية، تبدو نقطة ضعف الموقع في الجهة الجنوبية التي كانت السبب في زيادة التحصين عند هذه الزاوية الدائرية لصد الهجمات المتوقعة من ذلك الاتجاه. تتالف القلعة من سور مزدوج أحدهما خارجي والآخر داخلي لزيادة تحصين القلعة ومناعتها، كما تقسم القلعة إلى قسمين، القلعة الخارجية التي تشمل الأبنية السكنية والقلعة الداخلية التي تضمن مجموعة الأبنية الدفاعية المحصنة بابراج دائرية ومستطيلة يعلوها البرج الرئيسي، والتي تسيطر على مساحة واسعة تمتد إلى كل الجهات وقد زودت بمرامي السهام والحجارة بشكل تنعدم فيه النقاط الميتة تماما؛ ويحيط بالسور الخارجي من الجهة الشرقية خندق عميق محفور في الطبقة الصخرية.

أما الحصن الداخلي فهو عبارة عن قلعة صغيرة مستطيلة الشكل تقريبا لها حلقتان من الأسوار تقع على الذروة الجنوبية للقلعة ويفصلها عن القلعة الخارجية قناة مائية عريضة في الجهة الشمالية من الحصن الداخلي وبشكل السور الخارجي خطوطا دفاعية للحصن الداخلي.

يتم الدخول إلى القلعة عبر برج البوابة الرئيسي والذي يمكن الوصول من خلاله إلى الحصن الداخلي و إلى القلعة الخارجية مشكلا صلة وصل بين السورين الداخلي والخارجي. أما قاعات القلعة الموزعة في أبراجها ومزودة بكوات ومرامي السهام كما تتناوب الأبراج الدائرية والمستطيلة على الواجهات الخارجية، ومن منشآت القلعة:

- مسجدها الذي بني بعد استرجاعها من الفرنج.

- كما يوجد العديد من «الاصطبلات» و«المخازن» والمستودعات المنفصلة.

- برج القرسان الذي استخدم كبرج مدخل ثانوي إضافة لبرج المدخل الرئيسي ويمكن منه الوصول مباشرة إلى التحصينات الواقعة في الجهة الجنوبية.

- أما المجمع العثماني الداخلي فهو عبارة عن مجموعة من الغرف المبنية على عدة مستويات وعلى عدة مراحل.

- الكنيسة وهي أكثر الأبنية ارتفاعاً بين الأبنية المحيطة بالساحة الرئيسية وهو بناء موجه باتجاه شرق - غرب وبشكل طولاني كما هي معظم الكنائس تبلغ أبعاد الكنيسة « 7.64م × 19م» ومخططها شبيه بمخطط كنائس جنوب فرنسا في القرن الحادي عشر، ويمكن أن نعيد بناء الكنيسة للربع الأخير من القرن الثاني عشر أي بعد بداية استيلاء الإسبتارية على القلعة.

- البرج الرئيسي وهو أهم بناء في القلعة، ويعد نموذجاً مثالياً للأبراج الدائرية التي أقيمت في القرن الثالث عشر حيث يبلغ قطره 21م تقريباً وهو مكون من طابقين مع متراس دفاعي يتوج الطابق الأول، زود بمرامي السهام التي وزعت على محيط البرج بحيث لا تترك حول البرج أي نقطة لا يمكن الدفاع عنها. إن الفخامة التي يتمتع بها هذا البرج من حيث الارتفاع والقطر وسماكة الجدران المجهزة، تؤكد ان هذا البناء كان على الأغلب مخصصا لقائد حامية القلعة.

- القلعة الخارجية: يظهر فيها عدد من أبراج السور الخارجي ومراميه.

- برج قلاوون الشمالي: برج دائري بقطر 25م تقريبا يتكون من نواة أساسية مشكلة من برج نصف دائري وقد تم تصفيح هذا البرج بحجارة بازلتية كبيرة الحجم ومنحوتة بطريقة متقنة.

- برج المراقبة أو برج الصبي:هو جزء مهم من دفاعات قلعة المرقب، يقع جنوب غرب بانياس على يمين أوتستراد طرطوس-اللاذقية، يعود بناؤه إلى الفترة الصليبية ، مبني بحجارة بازلتية، مربع الشكل، ومؤلف من طابقين، يبدو أن هذا البرج أقيم لهدفين مراقبة الساحل وكمركز للدفاع عن القلعة، في جدرانه مرام للسهام عثر في أحدها أثناء الترميمات عام 2001م على لوحة من الفرسك تمثل سمكة بنية اللون ضمن حوض ماء أزرق اللون.

ذكرها «كرتيليوس فانديك» قائلا: «...وإلى الجهة الشمالية الشرقية من طرطوس، وعلى مسافة نحو ستة ساعات تقع قلعة المرقب، وهي على رأس جبل يرتفع نحو ألف قدم عن سوية البحر. وفيها الكثير من الآبار والمخازن....».

ووصفها «راي» بقوله: «المرقب أشبه بمدينة فريدة من نوعها، تقع على صخرة كبيرة مشرفة على كل من حولها يمكن الوصول إليها في حالة النجدة ولا يمكن الوصول إليها في حالة القتال، النسر والصقر وحدهما يمكنهما التحليق فوق أسوارها».

كنيسة القلعة و التي تعود الى ايام الصليبيين

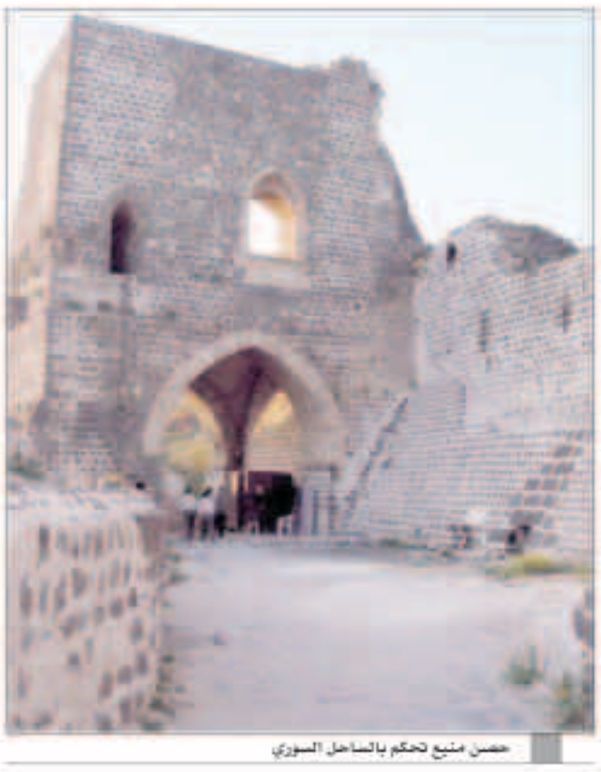
حصن منيع تحكم بالساحل السوري

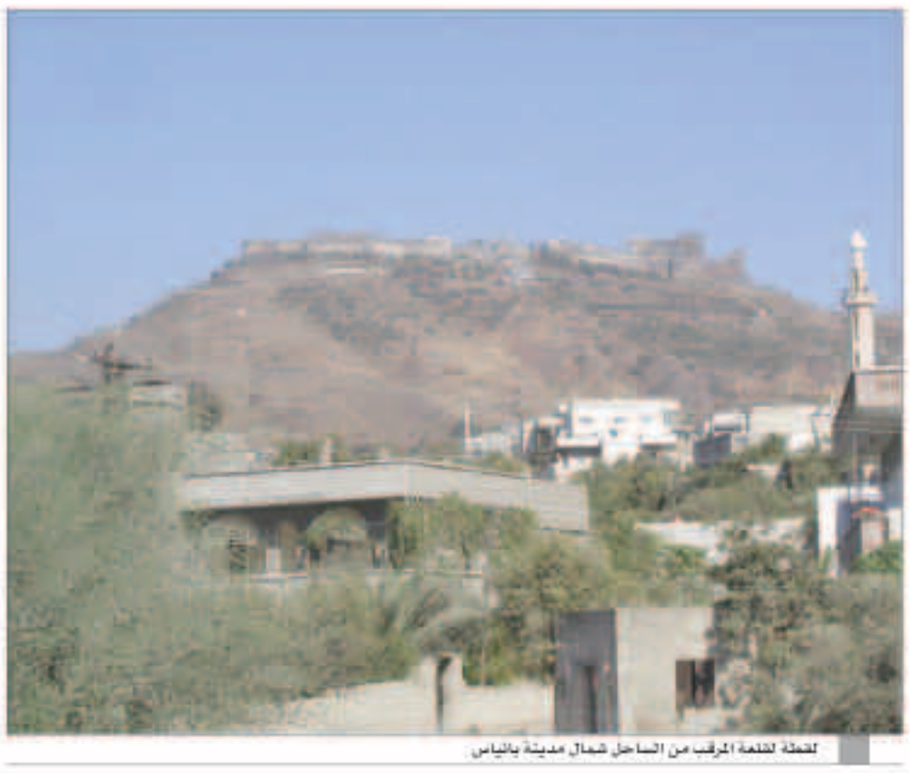
لقطة لقلعة المرقب من الساحل شمال مدينة بانياس